المحاضرة الثامنة أدب مقارن الصف الرابع: د. جاسم الصميدعي

الف ليلة وليلة في الادب الفرنسي:جزء 2

2. مصادرفولتير الشرقية:

في الحقيقة، إنّ فولتير لم يزر منطقة من مناطق الشرق، ولم يفكر يوماً في القيام بسفرة سياحية إلى العراق أو الهند. وإنّما تعرف على هذا العالم، وشكل صورة عنه من خلال قراءاته وتحاليله لمجموعة من المؤلفات العلمية والأدبية والدينية التي أثرت فيه ومكنته من استيعابه. وهذه قائمة بأهمّ عناوين هذه المصادر.

أ . القرآن الكريم (ترجمة دي ري André de RUYER 1647).19– ولقد اعترف، في مراسلاته،

– أنّه اطلع على هذه النسخة بتمعن، واستخلص منها العديد من الدروس والحكم.... ويبدو أنّه لم يكتب مسرحية "محمد" ١٧٤٢ . التي نوه فيها بتاريخ المسلمين . إلاّ بعد أن قرأ "القرآن الكريم"، واستوعب الدور الذي لعبه النبي محمد (ص) على الصعيد العالمي.

ب . كتب التاريخ والموسوعات العلمية.

"موسوعة هربلو (B.D.HERBELOT) الشرقية (١٦٩٧) وهي مكتبة واسعة لما في الشرق من فلسفة وعلم اجتماع.

"التاريخ النقدي لعقائد وعادات أمم الشرق (١٦٨٠) الذي وازن فيه صاحبه ريشار سيمون (R.SIMON)بين عادات وطقوس المسيحيين الشرقيين وتقاليد وطقوس المسلمين دونما قدح أو انتقاص.

*التاريخ العالمي (النسخة الإنجليزية) وقد اطلع عليها عام ١٧٤٢.

*تاريخ جنكس خان (١٧١٠) لبيتي دولا كروا الأب.

*الطقوس والعادات الدينية لكل شعوب العالم (١٧٣٧) للأستاذ برنار.

*الديانة المحمدية (الترجمة الفرنسية) للأستاذ هادريان بلاند.

جـ . تقارير المبشرين الذين أقاموا في مناطق شرقية مختلفة من أجل نشر المسيحية فيها..-

د . كتب الرحلات: ونعني بها كتب الرحلات إلى الشرق. ونخصّ بالذكر منها:
هـ - المسرحيات والقصص.

*مسرحيات شكسبير الغنية بالأجواء الشرقية، مثل "العاصفة" و"تاجر البندقية" و"عطيل" وغيرها...
*مسرحيتا "البرجوازي المهذّب" (١٦٧٠) لموليير و"بجزيت" (١٦٦٢) لراسين. وهاتان المسرحيتان غنيتان بالتفاصيل الشرقية.
" *الروايات الفرنسية ذات الطابع الشرقي التي نشرت في القرن الثامن عشر، مثل روايات منتسكيو (أرزيس وأزميني والرسائل الفارسية ١٧٣٢) وديدرو (الطائر الأبيض والحلي الناطقة ١٧٤٨)، وبيتي دولا كروا (سلطانة فارس وألف يوم ويوم (1710وأنطوان هاملتن (وردة الشوك ١٧٣٠)، ولامور لبير (أنجولا ١٧٤٦ (وكريبيون الابن (المرغاة ١٧٣٤ والصوفا ١٧٤٠.....(
*القصص والحكايات الشرقية التي كانت تنشر في مجلة سبيكتاتور spectator الإنجليزية: وقد اطلع عليها أثناء إقامته الجبرية في لندن.
*ألف ليلة وليلة: ترجمة أنطون جالان (١٧٠٤-١٧١٧.(

هذه هي أهم المصادر الشرقية التي اطلع عليها فولتير وتأثر بها، بشكل أو آخر، في كتابة قصصه. فلا يعقل أن ينقل هذا الأديب قراءه إلى تلك المناطق الشرقية البعيدة، ليروا فيها المشاهد المتنوّعة، ويدركوا ما لأهلها من طباع وخصال، بدون أن يوظف معلوماته عن الشرق والتي استمدها من مطالعاته الغزيرة.

وغني عن القول إنَّ فولتير كان من هواة الثقافة والعلم، يلتمسهما أينما وجد إليهما سبيلاً. لم ينقطع، طيلة حياته، عن البحث والتنقيب. فلقد دوّن كل ماوقف عليه في مؤلفاته ونشراته ورسائله، لا يملّ ولا يفترّ، كأنما خلق قلمه في يده لا يفارقه إلاّ اضطراراً.

3. فولتير وألف ليلة وليلة:

من المعروف أنَّ فولتير اطلع على "ألف ليلة وليلة" وتأثر بها. ولقد اعترف هو نفسه، في عدة مناسبات، أنه لم يصبح قاصّاً، إلاّ بعد أن قرأ ترجمة جالان أربع عشرة مرة، قراءات متأنية واعية، لكونه وجد فيها مادة للسرد القصصي لا تنضب، ومضامين إنسانية غزيرة، وأساليب فنية جديدة.- يقول طه

حسين في مقدمة ترجمته لقصة "زديج أو القدر."

"مرّ بفولتير طور من أطوار حياته الأدبية، قرأ فيها ترجمة "ألف ليلة وليلة"، فشاقته وراقته ووجهته إلى دراسة أمور الشرق، فغرق في هذه الدراسة إلى أذنيه، وأخرج للناس قصصاً شرقية بارعة..-

من منّا جال في خاطره أنَّ "الليالي" تشكل مصدراً رئيسياً لرائعة فولتير "زديج أو القدر".-

ومن منّا فكّر أنَّ قصة "الحمّال الأعور" مقتبسة من حكاية "الحمال والبنات الثلاث"، في ألف ليلة وليلة؟.-

ومن منا كان يعتقد أنَّ، "أميرة بابل" مستلهمة من "الليالي"؟...

في الحقيقة، لقد كان فولتير من الأدباء الذين انساقوا وراء سحر شهرزاز وتأثيرها، إذ راح يستوحي من حكاياتها الصور الرائعة والمضامين الإنسانية، "فلقد اطلع هذا المفكر على ترجمات المستشرقين، واتصل بالعالم العربي أبي زيد، صاحب الشارع المعروف باسمه في جنيف، فتأثر بالشرق في أكثر مصنفاته الأدبية، مثل زاييرء والأبيض والأسود، وأميرة بابل، وأكثر قصصه مستوحاة من "ألف ليلة وليلة"، بذوق خاص عرف به فولتير.-

واللافت للنظر أنَّ فولتير قد استعان بـ"الليالي" وأجوائها الشرقية من أجل بثّ أفكاره ودروسه، في

عصر أحبّ الناس فيه العالم الشرقي وكل مايمتّ إليه بصلة. فـ "اهتمام فولتير بهذه المجموعة لم ينصبّ على عالم الأحلام مثلما انصب اهتمام جوته، بل تركز على الجانب الأسطوري، بوصفه رداء، شاع استعماله آنذاك في الحكايات التربوية. لقد كان الرجل يعمل من أجل برنامجه الفلسفي .وكان غرضه من الاستعانة بشهرزاد هو تجسيد تعاليمه الأخلاقية بواسطة الحكايات. وبهذه النظرة كان رائداً في فنّ القص، وهي نظرة تقف على النقيض من نظرة جوته..."."-

قد لا نبالغ، إذن، إن قلنا: إنَّ "الليالي" قد حسنت في عين فولتير، إذ احتلت . كما يعترف هو بذلك . مكانة الصدارة في مكتبته؛ أعجب بها إعجاباً فائقاً وتأثر بأجوائها ومضامينها في أكثر مصنفاته الفنية. ومن الملاحظ أنه استعان بها حتى في مؤلفاته التاريخية والعلمية: وردت في أكثر من موضع "مقالات في العادات"

-، ووظفها في "القاموس الفلسفي" في شرح مصطلح "الخيال"

- واستعان بها في العديد من المقالات، لاسيما أثناء تحدّثه عن السحر والمسخ والتناسخ في البلاد الشرقية.

. "الليالي" في قصّة "زديج أو القدر."

. "زديج أو القدر": قصة فلسفية رمزية:

في قصر (سيري) الجميل، أنهى فولتير سنة ١٧٤٨ قصته "زديج أو القدر". وقد نشرها -بعد أن أدخل عليها إضافات-

- إرضاء للدوقة دومين والمركيزة شاتلي وغيرهما من النساء